

الأبعاد الفكرية والنفسية لخطب السيدة فاطمة الزهراء

م.م. سميرة مر حيم حسن

كلية التربية للعلوم الصرفة

جامعة بابل

الكلمات المفتاحية: الأبعاد الفكرية والنفسية، خطب السيدة فاطمة الزهراء

الملخص:

إن فكرة البحث قائمة على دراسة الأبعاد الفكرية والنفسية لخطب السيدة فاطمة عليها السلام، ولأهمية خطابها عليها السلام وعظمتها، ودقة مضامينه، ارتأيت أن اتناول في البحث أهم الأفكار والرؤى المبتوثة في ثنايا خطابها عليها السلام، واستظهار الأبعاد الفكرية والنفسية دينيا وسياسيا واجتماعيا ونقديا ونفسيا، تلك الأبعاد التي ترتبط بالواقع المعيش وأحوال الناس في ذلك الوقت، إذ يمكننا أن نأخذ تلك الخطب وعددها وثيقة من التأريخ تعكس ما كان يحدث من أحداث في زمن السيدة فاطمة، فكانت خطبها نابعة من تأثير نفسي عميق في ذاتها، انسكب على شكل خطب لتفصح عن مكنونات نفسها، وعن موقفها مما يدور حولها، فملاح الأبعاد النفسية في خطبها واضحة بشكل جلي لا يقبل الشك، إذ اتكأت في خطبها على ما يسمى بتيار الوعي الذي أتاح لها أن تكشف عما يدور بداخلها من قلق وخوف وحزن على المسلمين من الانقلاب والفتن والصراعات من بعد وفاة والدها الرسول .

وقد قسمت البحث على مبحثين: المبحث الأول: الخطبة ومواصفات الخطيب، أتعرض فيها لتعريف الخطبة وأهم مواصفات الخطيب، والتعريف بخطب الزهراء عليها السلام، والمبحث الثاني: الأبعاد الفكرية والنفسية لخطب الزهراء، قسمته على قسمين: أولاً: الأبعاد الفكرية: تناولت فيه: النظرة العقلية او العقلانية، والمنهج النقدي الذي تميّزت به الخطب، والموقف السياسي. وثانياً: الأبعاد النفسية، تناولت فيه: انفعالات الخطيب النفسية في حال خطبته، وسبب قول الخطبة وموضوعها، ثم ختمت البحث بالخاتمة وذكرت فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

المقدمة:

عرف عن بيت النبوة الفصاحة والبيان، وجزالة الأسلوب في خطبهم وأقوالهم وعمق المعنى والمفارقة اللغوية في المفردات التي ينتقوها، ونجد ان السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قد ترعرعت في واحة البلاغة العلوية، ونهلت من ينابيع المعرفة المحمدية. فهي بنت الرسول مدينة العلم وزوج سيد البلغاء والمتكلمين أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، كما قال عليه السلام: ((إنا لأمرء الكلام، وفيها تنشبت عروقه، وعلينا تهملت غصونه))¹. كما أنها امتازت بمعرفة الأحكام الشرعية والشريعة الإسلامية.

لذا كانت رغبة منا أن يكون موضوع البحث في خطب السيدة الزهراء عليها السلام، فاخترت الأبعاد الفكرية والنفسية في خطبها؛ لتكون عنواناً لبحثي، الذي ألتمس فيه الغور في مكنون السيدة الزهراء عليها السلام وما يعتمل في صدرها عند إلقاء تلك الخطبة العظيمة التي خطبتها في جموع المهجرين والأنصار، واحوال الناس في ذلك الوقت، إذ يمكننا أن نأخذ تلك الخطب وعدها وثيقة من التأريخ تعكس ما كان يحدث من أحداث في زمن السيدة فاطمة، فكانت خطبها نابعة من تأثير نفسي عميق في ذاتها، انسكب على شكل خطب لتفصح عن مكنونات نفسها، وعن موقفها مما يدور حولها، فلامح الأبعاد النفسية في خطبها واضحة بشكل جلي لا يقبل الشك، إذ اتكأت في خطبها على ما يسمى بتيار الوعي الذي أتاح لها أن تكشف عما يدور بداخلها من قلق وخوف وحزن على المسلمين من الصراعات والفتن من بعد وفاة والدها الرسول عليه الصلاة والسلام. ونحاول في هذا البحث استظهار الأبعاد الفكرية والنفسية دينيا وسياسيا واجتماعيا ونقديا ونفسيا، تلك الأبعاد التي ترتبط بالواقع المعيش ويرمي البحث أيضا الى تسليط الضوء على مواقفها الفكرية والسياسية والتحديات التي واجهتها في ذلك الوقت ودورها الفكري والاجتماعي والديني، ويأتي دورنا كباحثين في استسقاء الدروس والعبر من هذا الدور.

المبحث الأول: الخطبة وأهم مواصفات الخطيب

أولاً: تعريف الخطبة وأهم مواصفات الخطيب

الخطاب في اللغة جاء بمعنى المحاوره والفهم والإفهام، فقولنا خطب فلان إلى فلان فخطبه أي جابه. والخطاب والمخاطبة، مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان². وقد وردت لفظة الخطاب في القرآن الكريم بمعنى الجدال والفهم³، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾⁴. وقال ابن الخطيب: ((فصل الخطاب عبارة عن كونه قادرا على التعبير على كل ما يخطر بالبال ويحضر في الخيال بإذ لا يخلط شيئا بشيء وبإذ يفصل كل مقام عن ما يخالفه))⁵.

والخطبة: هي القاء خطاب امام جمهور بشكل مباشر، يخاطب فيه شخص واحد مجموعة من المستمعين، فمن آليات الخطاب المحاوره والحجاج الذي يظهر في الخطاب الديني، وهذا ما تميزت به خطب السيدة فاطمة، ومن هذا عندما خطبت خطبتها الفدكية، قال لها أبو بكر: اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا دار ولا عقار وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا يحكم بحكمه... فقالت علمها السلام: سبحان الله ما كان أبي رسول الله صلى عليه وآله عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره، ويقفو سورة، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور... هذا كتاب الله حكم عدل، ناطق فصل يقول: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾⁶، ويقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾⁷. وبين عز وجل فيما وزع من الأقسام، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكوان والإناث، ما أزاح به علة المبطلين، وأزال التظنين والشبهات في الغابرين، كلا بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبراً جميل والله المستعان على ما تصفون))⁸. نجد أن السيدة الزهراء قد ضمن في اسلوبها الحجاجي مع المخالفين الحجج الجدلية، والبراهين العقلية والمنطقية وبأساليب خطابية ومحاوره تناسب المستويات المختلفة للمستمعين، بإذ يحس كل طبقة أنها هي المعنية من الخطاب.

1: أركان الخطاب

يتألف الخطاب من أربعة أركان يجب ان تتوافر في عملية الخطاب: المخاطب (المتكلم)، والمخاطب (المتلقي)، الخطاب (وسائله وأدواته)، السياق (الأحوال والاحداث والظروف التي أدت لقول هذا الخطاب)، وعند توافر هذه الأركان مجتمعة تخرج من حيز النظام اللغوي إلى التجلي بصورة متعاضدة ومتفاعلة⁹. ونجد أن خطب السيدة فاطمة توفرت بها هذه الأركان مجتمعة، فكانت خطبها مادة خصبة ونموذجاً مثل الخطاب بشكل جلي وواضح، فضلاً عن عالمية الخطاب فيها أكثر من غيرها من الخطب عند العامة، لأنه صادر من بيت الرسالة المحمدية وهي ربيبة الرسول وزوجة أمير الفصاحة والبيان الإمام علي بن أبي طالب، فقد امتاز خطبها بعمق المعاني ودقة البيان وفصاحة الالفاظ، وقوة التراكيب وجمال الأسلوب، فنجد في اسلوبها مسحة من نور النبوة والرسالة.

2: مواصفات الخطيب

لقد امتلكت السيدة فاطمة علمها السلام المؤهلات للخطيب الناجح المؤثر بأسلوبه الخطابية، من اتقان لقراءة القرآن الكريم، وإيراد الاحاديث الصحيحة عن الرسول الكريم، مع الالمام بالأحكام الشرعية وتفسير القرآن وكل مفاهيم الاسلام، إضافة إلى الالمام باللغة العربية وفنونها التي كانت

المفتاح لإيصال المعنى للمستمعين، فضلاً للحكمة والهيبة التي كانت تتمتع بها بنت الرسول، ولقربها من ابها الرسول كانت تدون ما تسمعه منه لأن الرسول كان يجلس إليها ويזורها ويتحدث إليها ولزوجها الامام علي عليه السلام بكل شؤون الدعوة الإسلامية، فهي عالمة بالأحكام الشرعية والشريعة الإسلامية وتفسير القرآن، وكانت السيدة فاطمة تمتلك القدرة على الارتجال في خطبها، فهناك خطبتان مأثورتان ارتجلت إحداهما بمحضر من النساء، والثانية ارتجلتها بمحضر من شخصيات المهاجرين والانصار. كان للسيدة فاطمة أثر وسلطان على القلوب، وحياء وإشراق في النفوس لكل من يسمعهما، حتى أن كلمات وجيزة منها جعلت الناس تجهش بالبكاء لشدة تأثرهم ((فجلست ثم أتت أنه أجهش القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس))¹⁰. فكان لها علمها السلام من الهيبة وأجلالا ومكانة عند الناس يرغم السامعين على الإنصات لما تقول.

ثانياً: التعريف بخطب الزهراء عليها السلام

لسنا بحاجة للتعريف بصاحبة الخطب السيدة فاطمة سيدة نساء العالمين بنت الرسول ومغرس الرسالة، ورببة الدوحة المحمدية وزوجة امير الفصاحة والبيان الامام علي(عليه السلام)، فنجد في خطبها مسحة من نور النبوة، وعبقة من نور الرسالة¹¹. ولقد تناول العديد من الدارسين خطب الزهراء بالدراسة والتحليل، إذ كان لها الحظ الاوفر ذلك لهيمنتها البلاغية والمعرفية وبعبارة أخرى تميز خطبها بالكفاية اللغوية أي معرفة المتكلم الكامنة بقواعد لغته وقائمة وحداتها المعجمية كقولها: ((ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثم أخذتم تورون وقدمتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي، وإهمال سنن النبي الصفي، تسرون حسوا في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء))¹² وتميز بالكفاية التخاطبية أي المقدرة على استعمال اللغة في سياقاتها الفعلية التي تتجلى فيها¹³. فضلاً عن سيادتها وسلطانها الخطابية والمعصومية والروحانية¹⁴.

تركت لنا الزهراء خطبتين مهمتين يتصفان بالبلاغة والفصاحة والإعجاز، ويعدان من أهم الوثائق التاريخية لتلك الفترة بالذات، بل ويكشفان عن سبب ما تعانیه الامة الإسلامية اليوم من تأخر وتقهر و اضطراب تميزت خطب الزهراء(عليها السلام)، ان اول كلمة تنطق بها في بداية خطبتها التي سميت بالفدكية هي: **بِئْسَ لِلَّهِ الرِّجْمُ الرَّجِيمُ** والآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹⁵، ثم تكمل الخطبة بالحمد والثناء على الله تعالى والصلاة على رسول الله، ثم الشهادة (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم ذكرت الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾¹⁶ ثم ذكر آيات من القرآن الكريم تذكير منها للحضور، فقالت عليها السلام في الخطبة الفدكية:

قالت السيدة الزهراء: ((الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما أهدى، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولها، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أهداها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق باجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأثار في التفكير معقولها، الممتنع من الإبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته،...))¹⁷. كانت خطبتها روعة بالبيان والبلاغة كان الهدف منها هي تبصرة المسلمين من العمى وارشادهم إلى طريق الهداية، فمطالبتها بالإرث لم يكن لمنفعة شخصية، وإنما لإرساء أسس تعاليم الدين الإسلامي، بعد لمسها انحرافهم عن الخط الإلهي الذي رسم لهم نحو قولها: ((وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون))¹⁸.

من الأمور المهمة التي يجب الالتفات لها أن خطبة السيدة فاطمة تنصف بالقدسية، فقدسية خطابها راجع إلى قداستها عليها السلام فهي من أهل بيت النبوة¹⁹. بقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾²⁰، ولاشك فيه أن السيدة فاطمة منهم²¹، قالت: ((أيها الناس، اعلموا أني فاطمة وأبي محمد ﷺ، أقول عودا وبدوا، ولا أقول ما أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا))²²

استعملت السيدة فاطمة العديد من الوسائل لإيصال رسالتها إلى المتلقين منها:

1- القرآن الكريم: إذ امتزجت الفاظها بألفاظه، وأسلوبها بأسلوبه، فلا تكاد تنطق إلا بالقرآن الكريم، عبر الاستشهاد بالآيات القرآنية عند محاجة القوم؛ لما في ذلك من تقوية لحجتها، ودحض قاطع لآراء القوم نحو قولها عليها السلام²³: ((أفتجمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور والبهتان؛ وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل في حياته. هذا كتاب الله حكما عدلا، وناطقا فصلا، يقول: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾²⁴، ويقول: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾²⁵. فبين عز وجل فيما وزع من الأقسام، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والانات ما أزاح علة المبطلين، وأزال التظني والشبهات في الغابرين))²⁶. ومن الآيات التي استشهدت بها في خطبتها أيضا ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾²⁷، فالزهراء تريد أن تقول أننا نحن أولى الناس بالله وعبادته، ومعرفته حق معرفته، ونحن الذين نخشاه حق خشيته، ونحن الذين وصفوا بالعلماء الذين يخشون ربهم، ونحن ورثة الأنبياء وترجمان القرآن، واستشهدت أيضا بالآية الكريمة: ﴿ كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ﴾²⁸، هذا واحتوت خطبتها على العديد من الآيات القرآنية، كان عددها (43) آية التي كانت بمثابة الحجج ودليل عقلي وبرهان رباني، أرادت الزهراء عليها السلام عبر استشهادها

بذلك الشاهد هو الوجوب على الأمة من اتباع الحق المتمثل في أهل البيت، فهم المهادون المهتدون.²⁹

2- الاقتباس من الآيات القرآنية: وهو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن والحديث، ولا ينبه عليه للعلم به³⁰. مما جعل خطبها يتصف بالقوة بفرضا سلطة الخطاب القرآني، نحو قولها عليها السلام: ((كنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام))³¹، من قوله تعالى: ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾³² وهذا أحد اقتباساتها عليها السلام.

3- الأمثال: المثل، الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله³³. إذ اتخذت السيدة فاطمة الأمثال أحد الوسائل لتوصيل رسالتها إلى المتلقي نحو قولها: ((فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني بهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب))³⁴. إذ وضفت عليها السلام المثل القائل (بعد اللتيا والتي) توظيفا دلاليا، فإسلامهم كان بعد معاناة طويلة وجهد انقذهم النبي محمد عليه الصلاة والسلام من الضلال الذي كانوا به.

4- الحوار: من الاليات والوسائل الحجاجية التي استعملتها السيدة فاطمة في خطبها، وهو أسلوب حضاري يقوم على أساس المناقشة والمحاورة من اجل اقناع المقابل بعيد عن الصراع والقتال. فيكون الحوار متوشح بأدلة وبراهين عقلية تقنع المستمع، فمن ذلك قولها ردا عليهم لمنعها فدك إرث أبها: ((أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟!)). وقولها رداً على حديث نسب إلى النبي عليه السلام بعدم تورثه إياها: ((سبحان الله! ما كان أبي رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفا، ولا لأحكامه مخالفا، بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره))³⁵، وقولها للأنصار إزاء موقفهم: ((ما هذه الغميمة في حقي؟ والسنة عن ظلامي؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأله أبي يقول: المرء يحفظ في ولده؟))³⁶، نلاحظ أن الحوار والمحاورة كانت وسيلة تنشدها السيدة فاطمة في إظهار ظلامتها، فكان هذا اتجاه خطب الزهراء.

أقسام الخطاب

تميزت خطب السيدة فاطمة بعدة أقسام منها:

1- الخطاب الرسالي: هو الخطاب الذي يحدد أصول الدين والشريعة، وهذا ما تميزت به الخطبة الفدكية إذ قالت في التوحيد: ((وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها...))³⁷

- 2- الخطاب التنظيمي: وهو الذي يراد به تحديد وتنظيم أمور المسلمين وشؤونهم نحو قولها مخاطبة الأنصار: ((وأنتم ذوو العدد والعدة، والاداة والقوة، وعندكم السلاح الجنة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتىكم الصرخة فلا تغيثون، وانتم موصوفون بالكفاح معروفون بالخير والصالح))³⁸، في هذا الخطاب اظهر لمقدرتهم الحربية والقتالية.
- 3- الخطاب التربوي: وهو الخطاب الذي يراد به التأثير التربوي في المتلقي وإيجاد تغيير في نظامه الفكري والعادات والتقاليد الفاسدة في الجاهلية نحو قولها: ((لا جرم لقد قلدتهم ربقها وحملتهم أوقتها، وشننت عليهم غاراتها، فجدعا، وعقرا، وبعدا للقوم الظالمين.... فهيهات منكم، وكيف بكم؟ وأنى تؤفكون؟! وكتاب الله بين أظهركم...))³⁹، وغيرها من نماذج خطاها التي محورها تربوي.
- 4- الخطاب الدعوي: وهو الذي يراد به الدعوة إلى الله تعالى والالتزام بحدوده نحو قولها: ((أما لعمرى، لقد لقحت، فنظرة ريشما تنتج، ثم احتلبوا ملء القعب دما عبيطا، وذعافا مبيدا، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون، غب ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفسا، واطمئنوا للفتنة جأشا، وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين))⁴⁰.
- 5- الخطاب النفسي: وهو خطاب يلجئ إليه للتأثير بالمتلقي من أجل أن يلامس روحه والتأثير فيه، عبر التهديد والوعيد واستعمال الفاظ تدل على الخوف نحو قولها ((فدونكموها فاحتقبوها دبيرة الظهر نقبة الخف باقية العار مسومة بغضب الجبار وشنار الأبد موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة فبعين الله ما تفلعون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وأنا أبنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعلموا إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون))⁴¹. فالبعد العاطفي يظل ملحوظا في الخطبة نظرا لاعتمادها عنصر الإثارة للمستمعين، وأثارة العاطفة عندهم، لأن الجمهور عندما ينتظم في حشد كبير، ينسلخ عن شخصيته الفردية، وينزع إلى العقل الجمعي وما يواكبه من الإيحاءات التي تنتقل عداها من واحد لآخر، وذلك بسبب الإثارة العاطفية التي يحققها الخطيب⁴²
- 6- الخطاب الإرشادي: الذي يراد به ارشاد العقل ودعوته إلى التدبر والتأمل نحو قولها ((يا معشر النقيبة وأعضاء الملة وحضنة الإسلام ما هذه الغميمة في حقي والسنة عن ظلامي أما كان رسول الله أبي يقول: المرء يحفظ في ولده سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا إهالة))⁴³.
- 7- الخطاب المباشر وغير المباشر: يكون الخطاب أحيانا مباشرا يكون المتلقي معنيا به مباشرة نحو قولها لأبي بكر: ((يا ابن أبي قحافة أي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي لقد جئت شيئا

فريا))⁴⁴، فالخطاب هنا موجه لأبي بكر مباشرة، أما الغير مباشر مخاطبة امير المؤمنين علي نحو قولها ((أضرت خدك يوم أضعت حدك، افترست الذئاب، وافترشت التراب ما كفتت قائلا، ولا أغنيت طائلا...))⁴⁵، فظاهر الخطاب موجه إلى أمير المؤمنين لكنها كانت تقصد به تفرغ وعتاب القوم. هذا ما تميزت به خطب السيدة الزهراء.

المبحث الثاني: الأبعاد الفكرية والنفسية لخطب الزهراء

وصف النبي عليه السلام السيدة فاطمة ((بأنها سيدة نساء العالمين من الاولين والآخرين، يريد بذلك إعطاء وتقديم الأبعاد المتعددة في هذه الشخصية، ومن ثم إعطاء هذه الأدوار المتعددة في شخصية المرأة وحركتها في المجتمع والتاريخ؛ لأن الزهراء هي المثال الصالح لذلك))⁴⁶. نجد أن السيدة فاطمة كان لها دور في حياة اسرتها والمجتمع، فقد كانت المرأة المجاهدة تدون ما تسمع من الرسول، لعلمها ومعرفتها بشأن أبيها بما أنه نبي مرسل، مكمل للدين الذي جاء به الأنبياء، وأنه منقذ البشرية بإذ لولاه لم يبق أثر للعلم والحضارة إلى عهدنا هذا، إذ تربت في حجر النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام، عرفت بما جاء به أبوها ليكون دينا قيما دائما، فهي على بصيرة كاملة من ذلك.⁴⁷

أولاً: الأبعاد الفكرية

يتمثل البعد الفكري في عرض المبادئ الإسلامية، والدفاع عن الحقوق، وتوضيح مكانة العدل وبيان الأسس العقائدية التي يقوم عليها المجتمع.

1: النظرة العقلية او العقلانية

للسيدة فاطمة نظرة عقلية وعقلانية ووجهة نظر تميل إلى المنطق في أمور الحياة والمشكلات الواقعية التي كانت تواجه المسلمين بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام، إذ سخرت نفسها لخدمة الفقراء وحل مشاكلهم، فهم السبب الرئيس للمطالبة بأرض فدك إثرها من أبيها، إضافة للانقلاب والتحول في المجتمعات الإنسانية الذي حدث بعد وفاة الرسول، مما تطلب من السيدة فاطمة ان تقف موقفا صارما بالمطالبة بحقها في هذه المعركة عبر خطبها واحاديثها واستدلالها على الحقائق. فالهدف الأساسي هو استرجاع حقها المغصوب، وهذا أمر طبيعي لكل إنسان غصب حقه أن يطالب به بالطرق المشروعة، إضافة إلى حق أهل البيت بالخلافة، إذ كرهوا أن تجتمع لبني هاشم النبوة والخلافة معا. فنجد أن الزهراء اتخذت من فدك ذريعة للوصول إلى استرداد حق زوجها الإمام علي بالخلافة، ويظهر بالتحليل الدقيق أن الرسالة التي أرادت السيدة فاطمة إيصالها عبر خطابها إلى المتلقين هي إصلاح الأمة وهدايتها، جاعلة من قضية فدك بابا للولوج إلى القضية الكبرى وهي الإصلاح، فكانت نظرتها العقلانية لهذه القضية يتجلى منها مفهوم

أوسع من ذلك وهو أرض فدك، غرض يهدف إلى استرداد عرش مسلوب وتاج ضائع وتعديل أمة انقلبت على أعقابها⁴⁸. نجد أن السيدة فاطمة قد تناولت في خطبها نشأة الخلائق من لدن الله سبحانه نحو قولها: ((ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة أمثلها))⁴⁹، فهي هنا تفسر وتوضح معنى ابتداء الخلق والإنشاء، وأيضا في التكوين تقول لزهراء ((كونها بقدرته، وذراها بمشيئته))⁵⁰، أي أن التكوين يحصل بإخراج الشيء من ظلمة العدم بإفاضة نور الوجود عليه فيكون ويتكون بقدرته تعالى، فكانت نظرتها عقلية للأشياء رغم صغر سنها عليها السلام، وإدراكها لمقام الإمامة في بناء المجتمع الإسلامي.

2: المنهج النقدي الذي تميزت به الخطب

كانت الرؤية النقدية عند السيدة فاطمة تأخذ منحنى موضوعي تعزز ما هو إيجابي وترفض ما هو سلبي في المجتمع آنذاك، مما أدى إلى رفض الأطراف السياسية في ذلك الوقت نهجها في المطالبة بحقها، فساهمت بنشر والمحافظة على الإسلام بعد وفاة أبيها الرسول، ونشر القيم الفكرية إذ كانت تحث النساء على التعلم والتفقه، واشعلت روح المعرفة والعلم، فموقف الزهراء النقدي كان يحظى بالأهمية لأنها هي التي بدأت بحل عقد الخلط بين الدين وتصرفات الحكام الظلمة فأنقذت الإسلام من خطر الزوال.

والغرض من تنميق ما حررناه سابقا، هو أن الآثار العلمية الباقية من أئمتنا المعصومين سلام الله عليهم، حجج بالغة، وألسن صادقة ناطقة، على أنهم حجج الله سبحانه، وخلفاء رسوله الخاتم محمد (صلى الله عليه وآله، وهم العارفين بلسان القرآن، ومن تلك الآثار الباقية خطب السيدة فاطمة، قمة في البلاغة في بيانها وسحر ألفاظها، وهي تنقد ما فعل القوم بعد أبيها نحو قولها ((أيها الناس اعلموا: أني فاطمة وأبي محمد صلى الله عليه وآله أقول عودا وبدوا، ولا أقول ما أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا،...وتخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني بهم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهوتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخصه، ويخمد لهيبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله سيدا في أولياء الله، مشمرا ناصحا، مجدا كادحا، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون، فاكهون، آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفياه، ظهرت فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ حامل الأقلين،..... وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتف

بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا،...))⁵¹، فلما ادلت الزهراء بكل ما لديها من أدلة وشهود واحتجت بما عندها من حجج، ولم يرتض أبو بكر بما قالت ومنع عنها تركة الرسول ﷺ، رأت أن تبسط الخصومة على ملأ من المسلمين وتستنصر أصحاب أبيها، فذهبت إلى المسجد لتدل بدلوها وتطالب بحقها على رؤوس الملأ، بعد أن عجزت عن المطالبة في مجالس السلطة، فنجدها تنقد موقف أبي بكر نحو قولها: ((أيها المسلمون أأغلب على إرثي؟ يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئا فريا! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟))⁵². وهذا أن دل على شيء فإنه يدل على أن السيدة فاطمة كانت قائدة في المسيرة الإسلامية، وذات موقف نقدي لما يحصل في مجتمعها في ذلك الوق، وإعادة النظر في المفاهيم الخاطئة والقيم المشوهة أو المملغة، والبحث عن التغيير والإصلاح، فاستحقت عليه تاج السيادة على نساء العالمين، في أرادت في خطبتها إحداث توازن في المجتمع الإسلامي.

3: الموقف السياسي

كان للسيدة الزهراء موقف سياسي، إذ نجد أن حياتها على قصرها إلا أنها كانت حافلة بالأحداث الجسم ((فقد عاشت عليها السلام تلك الفترة من الزمن، وحاولت جاهدة أن تساهم في تقويم ما اعوج، وإصلاح ما فسد، فقد حاججت، وخطبت))⁵³. وبسبب مواقفها ضد الظلم الذي أصابها وأصاب زوجها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام تعرضت للظلم والتعسف والاضطهاد، فماتت وهي غضبي على قوم المهاجرين والانصار. كان للسيدة الزهراء ((مآثر خالدة، شرح للموقف الانقلابي الذي حدث بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله))⁵⁴. إذ جاء في القرآن الكريم ((وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)). لهذا نجد أن الموقف كان يتطلب من السيدة فاطمة النهوض والجهاد في سبيل إصلاح ما فسد، وكانت قضية أرض فدك ميراث السيدة فاطمة من أبيها، الشرارة التي اشعلت الثورة ضد التعسف والظلم، بسبب الإصرار والتعننت بمنع السيدة فاطمة حقها من ميراث أبيها، أدى إلي إصرار السيدة فاطمة بتكرار المطالبة الشديدة أكثر من مرة كونها سهم ذي القربى، وتقييم الدنيا وتقعدها بخطيها، ولم يكن سبب المطالبة بفدك من قبل السيدة الزهراء حبا للثروة والمال، ولكن ((ليزيد من متانة الإسلام، وليزيد من أعمال البر، وتفريق الحسنات على كل هؤلاء الذين يعيشون في الجزيرة على مجاعات واشدها مجاعة الفكر ومجاعة الروح. لذلك هبت فاطمة تطالب بالإرث لا لتحصل على الإرث بل لترهف حسا جماعيا لا يزال يهجع في الذل، ويرضى بالاستكانة، لتظهر للحاكم، أنه لن

يتمكن من القيادة وفي عينه دكنة من ظلم، ومسحة من اغتصاب))⁵⁵. كان موقف السيدة فاطمة هذا مصدره دفاعا عن رسالة ابها وعن الدين الجديد، وخوفا منها عليه من الانهيار بسبب الاطماع السياسية على الخلافة، فخرجت وقالت خطبتها الغراء التي تعد من محاسن الخطب: ((جاءت فاطمة عليها السلام إلى مسجد رسول الله ﷺ، وقد لانت خمارها ومعها لمة من نساء قومها تطأ ذيولها ما تخرم مشيتها من مشية رسول الله حتى وقفت على أبي بكر... ثم ذكرت هذه الخطبة الغراء))⁵⁶. فكانت خطبتها اعلان للتمرد على الظلم والجور، ولولا موقفها السياسي ولأنها لم تتخل عن مسؤولياتها كونها بنت الرسول، فكانت على استعداد على مواجهة الظلم وتحمل المحن من اجل حفظ الإسلام من بعد ابها، ولولا دورها هذا إلى جانب أمير المؤمنين لبقى المسلمون في ظلال، فهي لم تخضع للسلطة أي كان نوعها، إذ طالبت بحفها بكل شجاعة، حتى تكون مثال يحتذى به على مر العصور، ((فقد كان موقفها السياسي مرتبط بقضية سياسية أساسية وهي (الامامة)، وهي اعظم القضايا السياسية ذات الارتباط بهذا الخط الإسلامي الأصيل علي طول التاريخ الإسلامي))⁵⁷. لقد كان للسيدة فاطمة الدور العظيم في حفظ الإسلام والمنهج والمذهب الصحيح، وبرز دورها وموقفها السياسي جليا عبر الخطبة الفدكية، إذ فضحت الاعلام السياسي المنحرف في ذلك الوقت، واثباتها أن الأنبياء يورثون عكس ما قال أبو بكر، وأيضا مطالبها بحق الامام علي بالخلافة.

ثانياً: الأبعاد النفسية:

حفلت الكتب العربية القديمة بإشارات وتنبهات، تنحو منحى نفسي في إشارة منها لعلاقته المباشرة بعملية الإبداع في المجال الأدبي، ولقد تفتن العلماء القدامى إلى أثر العوامل الداخلية والخارجية وفعلها في النفس عند أنتاج العمل الأدبي. فالعملية الإبداعية هي مزيج من النشاطات المزاجية النفسية والاجتماعية والثقافية، ((إن النفس تصنع الأدب، فالنفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب، والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضئ جوانب النفس، والنفس التي تتلقى الحياة لصنع الأدب، أنها دائرة لا يفترق طرفاها إلا لكي يلتقيان، وهما حين يلتقيان يصنعان حول الحياة إطار فيصنعان لها بذلك معنى))⁵⁸. ومن هذا المنطلق اجتمعت الدراسات في تقديم قراءة أو تحليل وتفسير خطب السيدة فاطمة، وقامت بتفسيرها وتحليلها بغية استيعاب مضمرة النص الخطابي وتحليله انطلاقا من العلاقة الوطيدة بين الابداع وعلم النفس.⁵⁹

فالأبعاد النفسية: هي المدلولات المرتبطة بالمفاهيم النفسية وانعكاساتها المتمثلة في الجوانب السلوكية والمعرفية والاجتماعية.⁶⁰

ويعد الادب وسيلة لإصلاح الإنسان وتربيته وتهذيب ذاته وتبصيره بأسرار نفسه، إلى جانب دوره الأساس في المحافظة على اللغة والإرث الثقافي، فكان لقول خطب الزهراء في وقتها ابعادا نفسية، فقد كانت هادئة الطباع تميل إلى الحوار والإقناع العقلي، إذ ركزت في خطبها على جوانب النفس الإنسانية، بما أن للبيئة الدور الأول والأخير في توجيه سلوك الفرد، سابقا كان حق المرأة مسلوب ومحرومة من الميراث، فهي قضية تتعلق بالعادات والتقاليد القديمة المتوارثة في المجتمعات الإنسانية، لكن بعد مجيء الإسلام رد للمرأة كرامتها وأعاد لها حقها في الميراث، الذي ظل مسلوبا طيلة قرون، لقد ندد القرآن الكريم بهذا الظلم الواقع على المرأة في قضية إرثها نحو قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كُرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ))⁶¹، فلما جاء الإسلام قلب مقاييس الحياة رأسًا على عقب، فكسر الطوق المألوف، وفك عن المرأة حصار الحرمان، وأقرَّ حقها بالإرث من والديها تشريعا وبقرار ألهي، يشترك فيه الرجال والنساء نحو قوله تعالى: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا))⁶². فنجد الزهراء خرجت مدافعة عن هذا الحق، لم يكن خروجها عنوانا للمظلومية لتستدر الدموع، بل كانت موقفا وصرخة واجتهاد دوت في وجه الظلم، وثورة من قبلها للمحافظة على الإسلام من التحريف، ولولا موقفها في ذلك اليوم لكان من الممكن أن تخفى الامامة على الأجيال وتتشوه وتتغير التعاليم الإسلامية، ويبقى المسلمون في ضلال وبعد عن الواقع الذي جاء به رسول الله ﷺ.⁶³

كان للسيدة فاطمة الإرادة القوية، إذ تجسد بفهمها ورؤيتها للموقف، أدى إلى عمل خارجي تتحرك على أساسه، فالزهراء عليها السلام ليست شخصية عادية، إنما هي سيدة نساء العالمين وأبنة الرسول العظيم، فهمومها ليست هموما ذاتية، وإنما هم إسلامي عظيم؛ وشعورا منها بالمسؤولية، عندما رأت بأمر عينها أن المسيرة الإلهية اتجهت اتجاه اخر بعد وفاة ابها، فتراهما تتفجر ألما لما سيؤول إليه مصير الإسلام والمسلمين، فقامت الزهراء بالواجب الشرعي انطلاقا من تحملها للمسؤولية الشرعية والعقائدية، من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر⁶⁴، نحو قولها في الخطبة الفدكية ((معاشر المسلمين المسرعة إلى قبل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟ كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتكم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما ناولتم، وساء ما به أشرتكم، وشر ما منه اغتصبتكم، لتجدن والله محملة ثقيلًا، وغية وبيلا، إذا كشف لكم الغطاء، وبان باورائه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون))⁶⁵. كان وفاة الرسول بالنسبة للسيدة فاطمة من أعظم المصائب التي مرت عليها، إذ قضت الأيام الأخيرة من عمرها

الشريف في الحزن الشديد على ابنيها وصل لحالة الجزع للتعبير عن تلك المصيبة. فكان هناك هدف تسعى إليه السيدة فاطمة، وهو الفات نظر الناس إلى المصيبة برسول الله، إضافة إلى تذكير المسلمين للظلم الذي وقع عليها.⁶⁶

فالبعد النفسي هو ما انعكسه الخطبة من مشاعر انفعالات ودوافع نفسية، وما تحدثه من تأثير وجداني في المتلقي، من خلال الالفاظ والصور والاساليب التعبيرية المختلفة، فكانت خطب الزهراء تدعوا فيها إلى التخلص من البدع والضلالات وعودة المسلمين إلى أحكام الدين الإسلامي تهذيباً لنفوسهم، وتقويماً ما اعوج منها نحو قولها: ((فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا اماناً من الفرقة، والجهاد عزا للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، والنهي عن المنكر تنزيهاً للدين، وبر الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منساة في العمر ومنمأة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالندى تعرضاً للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفة، وحرم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)).⁶⁷

إن الإحساس بالظلم مؤلم جداً، ويؤثر على الصحة الجسدية، ولأن الإنسان في طبيعته غير استسلامي للظروف يحاول التصدي لها، أو يحاول أن يغير ما يمكن تغييره، وهذا ما حدث مع السيدة فاطمة عندما خرجت للقوم وألقت خطبتها لأخذ حقها ولتحقيق العدالة، ولتقويم ما أعوج بعد وفاة أبيها الرسول عليه الصلاة والسلام.

1- انفعالات الخطيب النفسية في حال خطبته

للخطابة أسلوبها الذي يختلف عن قول الشعر أو سرد القصص، فهي تستلزم إثارة المشاعر، وإلهاب الحماس، واستعمال العبارات العاطفية من لدن الخطيب، باتجاه من يخاطبهم، ((فلأنها تعتمد من جانب على بعد نفسي هو حجمها العاطفي الأقل بروزاً من الشعر))⁶⁸، ولأن الخطيب يكلم طبقات وعقليات مختلفة ومتفاوتة، فوجب أن تكون انفعالاته ومشاعره من غضب وتألم وتحسر وعتب، مبنية على أساس قويم، ومنهج سليم، تتناسب مع المقام والحال وظروف من يخاطبهم، فكانت الزهراء على علم ودراية بهذه الأمور، إذ جذبت الأنظار حال دخولها للمسجد ((أنه لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكا وبلغها ذلك لاثنت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين

والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة، فجلست ثم أتت أنه أجهش القوم لها بالبكاء، فأرتج المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسوله)).⁶⁹

فوجد أن الزهراء لم تخطب فور قدومها إلى المجلس، ولكن حاولت أن تعد السامعين وتهيئتهم لسماع ما تريد قوله في خطبتها ((فجلست ثم أتت أنه أجهش القوم لها بالبكاء، فأرتج المجلس، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم افتتحت الكلام بحمد الله))⁷⁰، وليكن في العلم أن خروج الزهراء للمسجد هو بعد ذاته حدث عظيم وامر جليل، لم يألفه القوم منها، فالإخلاص والصدق والاحساس بالمسؤولية لهما أبلغ الأثر في نفسية الخطيب، وعليه أن يضبط انفعالاته بإذ يوجهها التوجيه السليم، الذي ينفع به السامعين، فكانت الزهراء أصدق من خطب، فإن ظهور أثر الصدق في وجهها وصوتها أثر لا محال على القوم آنذاك، مما يحمل السامعين على قبول قولها واحترامه، فالخطيب الذي لا يتفاعل ولا يتحمس لما يقول لا يؤثر في عقول السامعين وقلوب من يتحدث إليهم نحو قولها: ((أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحمله دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغائه إلى الأمم، زعيم حق له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع)).⁷¹

وعلى الخطيب أن يجذب أنظار السامعين، وإيقاظ الهمة والعزيمة عندهم بما يسوقه من أمثلة ووقائع وأحداث، وربطه بواقع المسلمين مع الاستعانة بضرر الأمثال، وتصوير المعاني بأشياء محسوسة لتقريب المعاني إلى الأذهان، وربطه بمعاني القرآن والسنن الكونية نحو قولها: ((أتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله فخطب جليل استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، واطلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمه عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتكم، وفي ممساكم ومصبحكم)).⁷²

سبب قول الخطبة وموضوعها

تمثل الخطبة منبرا دائما للمسلمين، فتصنف الخطبة فيما يعرف ب(الاعلام المباشر)، وهو أقوى أنواع الإعلام، وتقام الخطبة في المسجد، وهي الساحة التي يلتقي بها المسلمين بأكبر تجمع، ولهذا تطرح فيها أهم القضايا في ذلك الوقت، ولم يعهد في ذلك الوقت أنهم كانوا يلقون الخطبة من ورقة أو ما شابه، لأنهم أهل فصاحة وبيان وبلاغة تجري على سنتهم جريان الماء في السيل،

فيعبرون بسهولة عما يجول في نفوسهم ويجيش في صدورهم، وما يدور ويحدث في واقعهم بدون ادنى كلفة أو تصنع، فنجد الزهراء عندما القت خطبتها بالمسجد كان لها القدرة على الارتجال والفصاحة والبلاغة، فكانت مثل السيل الجارف في اسلوبها وبيانها، ووضوح مقصدها وقوة حافظتها، وكان لها قوة عجيبة على استحضار المعاني في قوالب من الالفاظ البلاغية والبيانية، دون تلثم أو تردد، ان سبب قول الخطبة التي التقتها السيدة فاطمة في مسجد النبي، هو الاعتراض منها على أبي بكر الذي نزع فدك منها، إذ طالبت عن طريق هذه الخطبة بحقها المغصوب، وصرحت للعلن بأن فدك ملك لها، فدخلت السيدة فاطمة في نزاع مع أبي بكر، واعترضت عليه لتصديه للخلافة وهي حق لزوجها الامام علي عليه السلام، نحو قولها: ((أيها المسلمون أغلب على إرثي؟ يا ابن ابي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟! لقد جئت شيئاً فرياً! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟))⁷³، فكان هذا هو السبب الأساس في قول خطبة الزهراء، دفاعاً منها عن كتاب الله من التحريف وعن الإسلام.

الخاتمة والنتائج

أهم النتائج التي توصلنا إليها:

1: الأسلوب الحجاجي الذي تميزت به خطب السيدة فاطمة الزهراء إضافة كان لها ابعاداً فكرية نقدية وسياسية، فأبدعت في بيان فلسفة الاحكام ورايها السياسي عبر عبارات قصيرة، وأبدت النصائح للمستمعين عبر الدفاع عن الإسلام من التحريف وعن رسالة أبيها الرسول، إذ تجاهل القوم كل ماورد من آيات قرآنية وتوصيات نبوية بخصوص قضية الإرث.

2: المنهج النقدي والرؤية النقدية كان مايميز خطب السيدة فاطمة والتي كانت تاخذ منحى موضوعي في نقدها لما هو سلبي إيجابي في المجتمع .

3: لمس نظرة عقلية عقلانية ووجهة نظر تميل إلى المنطق كانت تميز خطب السيدة فاطمة وسيلة للتعبير عما يدور في داخلها .

4: ركزت السيدة فاطمة في خطبها على جوانب النفس الإنسانية والمدلولات المرتبطة المفاهيم النفسية وانعكاساتها المتمثلة في الجوانب السلوكية المعرفية.

5: كان الخطاب عند السيدة فاطمة مباشراً لتقليل سوء الفهم وتكون الحاجة إلى الوضوح والدقة أكبر عند المتلقي، وأحياناً غير مباشر لإضفاء الجمال والتشويق في خطبها للتعبير عن الرفض بلطف، وإتاحة المجال للتفكير والاستنتاج عند العامة ، ومراعاة الظروف النفسية والاجتماعية للمتلقي .

الهوامش:

- 1 نهج البلاغة: ضبط نصه وابتكر فهرسه العلمية: صبحي الصالح، مطبعة الوفا، ط3، 1429هـ، 449.
- 2 ينظر: الصحاح: 314 مادة (خطب)، ولسان العرب: 4/155 مادة (خطب).
- 3 ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: 8/310، والكشف في تفسير القرآن 5/253، وجامع البيان عن تأويل أي القرآن: 23/393.
- 4 الفرقان: 63.
- 5 اللباب في علوم القرآن: أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1988م، 16/393.
- 6 سورة مريم: 6.
- 7 سورة النمل: 16.
- 8 أعلام النساء: 114.
- 9 ينظر: المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية: محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2/، 2007: 151، والأسلوب والأسلوبية: عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط3/3: 61.
- 10 أعلام النساء: 101.
- 11 ينظر: اشراقات غراء من خطاب السيدة الزهراء (عليها السلام) دراسة في ضوء منهج التحليل اللغوي، عبد الحسن علي حبيب الناصر، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، ط1، 2018م، 10.
- 12 أعلام النساء: 108.
- 13 ينظر: المعنى وظلال المعنى: 148.
- 14 ينظر: الولاية التكوينية والتشريعية للصديقة الطاهرة (عليها السلام)، السيد محمد الحسيني الشيرازي، هيئة محمد الأمين، الكويت، ط1، 2002م، 7.
- 15 سورة الفاتحة: 1.
- 16 سورة آل عمران: الآية 102.
- 17 الاحتجاج: أبو منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي، تحقيق: جعفر السبحاني، دار الاسوة للطباعة والنشر، قم المقدسة، ط4، 1424هـ، ج1، 261.
- 18 الاحتجاج: 1/267.
- 19 ينظر: الامامة الإلهية: محمد سند، السيد محمد علي بحر العلوم، الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 2012م 2/93.
- 20 سورة الأحزاب: 33.
- 21 ينظر: الإقتان في علوم القرآن: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت911هـ)، تحقيق مركز الدراسات القرآنية التابع لإدارة الشؤون العلمية في مجمع الملك فهد، مجمع الملك فهد، السعودية، د.ط، 1414هـ 7/2412، والكلمة الغراء في تفضيل الزهراء(ع): السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان د.ت، 18.

- 22 الشواهد القرآنية في خطب الزهراء عليها السلام: حيدر الفلوجي الموسوي، دار الفرات للثقافة والأعلام في الحلة، 2015م، ط1، 13.
- 23 ينظر: اشراقات غراء من خطاب السيدة الزهراء: 37.
- 24 سورة مريم: 6.
- 25 سورة النمل: 16.
- 26 الاحتجاج: 1/ 277.
- 27 سورة فاطر: 28.
- 28 سورة المائدة: 64.
- 29 ينظر: الشواهد القرآنية في خطبة الزهراء عليها السلام، 134.
- 30 ينظر: حسن التوسل إلى صناعة التوسل: شهاب الدين محمود الحلبي (ت725هـ)، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الحرية للطباعة، بغداد، د. ط، 1980م، 323.
- 31 الاحتجاج: 1/ 261.
- 32 سورة آل عمران: 103.
- 33 لسان العرب: 13/ 21 مادة (مثل)
- 34 الاحتجاج: 1/ 262.
- 35 الاحتجاج: 1/ 276.
- 36 الاحتجاج: 1/ 269.
- 37 الاحتجاج: 1/ 255.
- 38 الاحتجاج: 1/ 271.
- 39 ينظر: الاحتجاج: 1/ 265-287.
- 40 الاحتجاج: 1/ 290.
- 41 الاحتجاج: 1/ 274.
- 42 ينظر: تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، لبنان، 1990م: 13.
- 43 الاحتجاج: 1/ 261.
- 44 الاحتجاج: 1/ 267.
- 45 الاحتجاج: 1/ 281.
- 46 الزهراء (عليها السلام) أهداف. مواقف. نتائج: السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، مطبعة العترة الطاهرة، ط1، 2006م، 35.
- 47 ينظر: فاطمة الزهراء أم الأئمة وسيدة النساء: محمد حسن النائيني، دار انتشارات النبوغ، قم، ط2، 1416هـ، 171.

- 48 ينظر: فدك في التأريخ: محمد باقر الصدر، تحقيق: عبد الجبار شرارة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط1، 1994م، 51.
- 49 الاحتجاج: 1/ 255.
- 50 الاحتجاج: 1/ 255.
- 51 أعلام النساء: 106-107.
- 52 أعلام النساء: 108.
- 53 أعلام النساء فاطمة الزهراء عليها السلام: علي محمد علي دخيل، مؤسسة اعل البيت(ع)، بيروت، لبنان، 1980م، 7.
- 54 أعلام النساء: 8.
- 55 أعلام النساء: 90. س
- 56 خطبة سيدة النساء فاطمة الزهراء: محمد جواد المحمودي، دار الحبيب، مط: عترة، ط1 1429هـ، 117.
- 57 الزهراء أهداف. مواقف. نتائج: 42. س
- 58 التفسير النفسي للأدب: عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب، ط4، دت، 5.
- 59 ينظر: محمد عيسى: القراءة النفسية للنص الأدبي العربي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 19، العدد (1-2)، 2003م، 15-16.
- 60 بعض الأبعاد النفسية في ادب المنفلوطي: محمد حسين عقاب العنزي، السودان، 2012م، 19.
- 61 سورة النساء: 19.
- 62 سورة النساء: 7.
- 63 ينظر: الزهراء أهداف. مواقف. نتائج: 42.
- 64 ينظر: الزهراء أهداف. موقف. نتائج: 89.
- 65 أعلام النساء: 115.
- 66 ينظر: الزهراء (عليها السلام) أهداف. موقف. نتائج: 162-163.
- 67 أعلام النساء: 105.
- 68 تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: 13.
- 69 أعلام النساء: 101.
- 70 أعلام النساء: 101.
- 71 أعلام النساء: 104.
- 72 أعلام النساء: 110.
- 73 أعلام النساء: 108.

القرآن الكريم

الإتقان في علوم القرآن: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، تحقيق مركز الدراسات القرآنية التابع لإدارة الشؤون العلمية في مجمع الملك فهد، مجمع الملك فهد، السعودية، د.ط، 1414هـ.

الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تحقيق: جعفر السبحاني، دار الاسوة للطباعة والنشر، قم المقدسة، ط4، 1424هـ.

إشراقات غراء من خطاب السيدة الزهراء (عليها السلام) دراسة في ضوء منهج التحليل اللغوي، عبد الحسن علي حبيب الناصر، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة، دار القارئ، ط/1، 2018.

أعلام النساء فاطمة الزهراء عليها السلام: علي محمد علي دخيل، مؤسسة أهل البيت (ع)، بيروت، 1980.

الإمامة الإلهية: محمد سند، السيد محمد علي بحر العلوم، الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2012.

بعض الأبعاد النفسية في أدب المنفلوطي: محمد حسين عقاب العتزي، السودان، 2012.

تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين/ بيروت، ط/4، 1987.

تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، لبنان، 1990.

التفسير النفسي للأدب: عز الدين إسماعيل، مكتبة غريب، ط/4.

جامع البيان عن تأويل أي القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني مؤسسة الرسالة، 2010.

حسن التوسل إلى صناعة التوسل: شهاب الدين محمود الحلبي (ت725هـ)، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الحرية للطباعة، بغداد، د.ط، 1980.

خطبة سيدة النساء فاطمة الزهراء: محمد جواد المحمودي، دار الحبيب، مط: عترة، ط/1، 1429هـ.

الزهراء (عليها السلام) أهداف. مواقف. نتائج: السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، مطبعة العترة الطاهرة، ط1، 2006.

الشواهد القرآنية في خطب الزهراء عليها السلام: حيدر الفلوجي الموسوي، دار الفرات للثقافة والأعلام في الحلة، 2015م، ط/1.

فاطمة الزهراء أم الأئمة وسيدة النساء: محمد حسن النائيني، دار انتشارات النبوغ، قم، ط2، 1416هـ.

فدك في التأريخ: محمد باقر الصدر، تحقيق: عبد الجبار شرارة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط1، 1994.

القراءة النفسية للنص الأدبي العربي: محمد عيسى، مجلة جامعة دمشق، المجلة 19، العدد (1-2)، 2003.

الكشاف في تفسير القرآن: محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، ضبطه وصححه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة، دار الكتاب العربي ببيروت، ط/3، 1987.

الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء (ع): السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

- اللباب في علوم القرآن: أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط/3، 1414 هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري)، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الإخصائيين، قدم له: السيد محسن الأمين العاملي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1995.
- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية: محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط/2، 2007.
- 151، والأسلوب والأسلوبية: عبد السلام المسدي، دار العربية للكتاب، ط/3.
- نهج البلاغة: ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية: صبحي الصالح، مطبعة الوفاء، ط1429، 3هـ.
- الولاية التكوينية والتشريعية للصديقة الطاهرة (عليها السلام)، السيد محمد الحسيني الشيرازي، هيئة محمد الأمين، الكويت، ط1، 2002.

The intellectual and psychological dimensions of the sermons of Lady Fatima al-Zahra

Assist Lect. Samira Rahim Hassan

College of Education for Pure Sciences

University of Babylon



samraheem74@gmail.com

Keywords: Intellectual and psychological dimensions, speeches of Lady Fatima al-Zahra

Summary:

Praise be to God, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon the noblest of creation, Abu al-Qasim Muhammad, may God bless him and his pure and righteous family. The idea behind this research is to study the intellectual and psychological dimensions of the sermons of Lady Fatima, peace be upon her. Due to the importance and profoundness of her speeches, and the precision of their content, I have chosen to address the most important ideas and visions woven into her sermons, and to elucidate their intellectual and psychological dimensions—religious, political, social, critical, and psychological—those dimensions that are connected to the lived reality and the conditions of the people at that time. We can consider these sermons as a historical document reflecting the events that occurred during Lady Fatima's time. Her sermons stemmed from a deep psychological impact on her, which manifested in the form of speeches to reveal her innermost thoughts and her stance on what was happening around her. The features of the psychological dimensions in her sermons are clearly evident and beyond doubt, as she relied on what is called the stream of consciousness, which allowed her to reveal

her inner anxieties. And fear and sorrow for the Muslims due to the upheaval, strife, and conflicts that followed the death of her father, the Prophet

The research is divided into two sections: The first section, "The Sermon and the Qualities of the Speaker," defines the sermon, outlines the most important qualities of the speaker, and provides an overview of Fatima al-Zahra's sermons. The second section, "The Intellectual and Psychological Dimensions of Fatima al-Zahra's Sermons," is further divided into two parts: First, the intellectual dimensions, which examine the rational perspective, the critical methodology that characterized the sermons, and the political stance. Second, the psychological dimensions, which explore the speaker's emotional state during the sermon, the reason for delivering the sermon, and its subject matter. The research concludes with a summary of its most important findings.